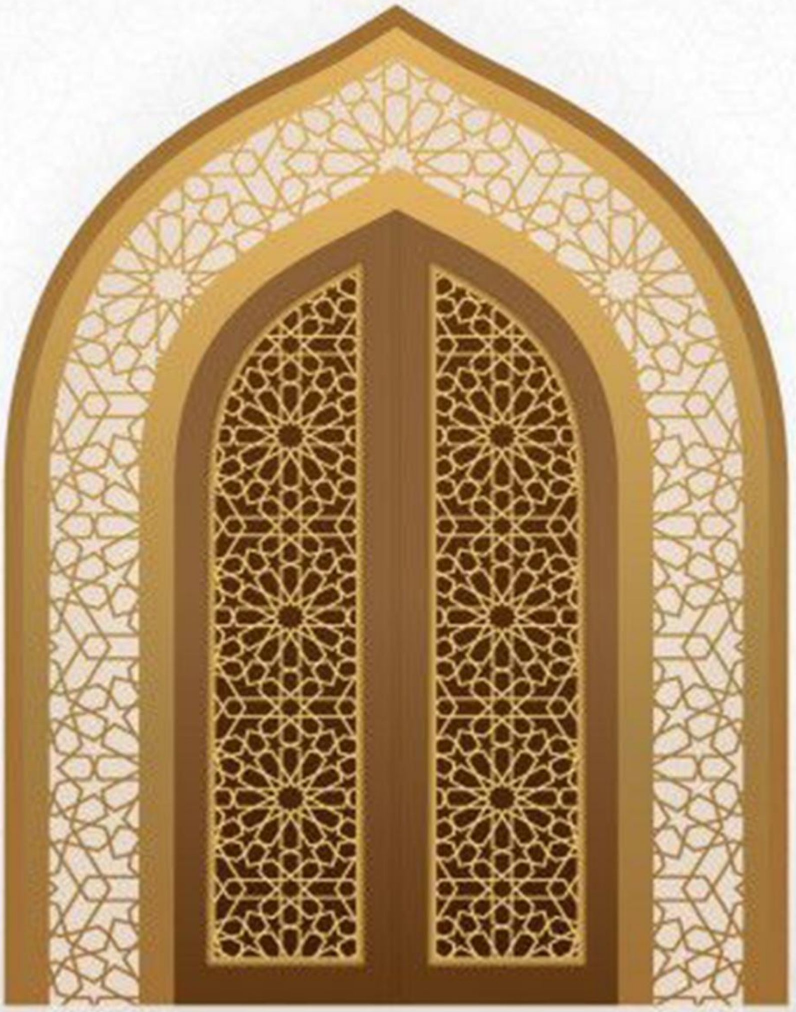


خواطر رمضانية

رمضان 1446هـ

د. ليلى حمدان

بسم الله الرحمن الرحيم

خواطر رمضانية

رمضان 1446هـ

د.ليلى حمدان

لكل من يشتاق لرمضان ..

لكل من يترقب فرصة رمضان ..

1 رمضان

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ...﴾.

لعلكم تتقون!

تلك هي الغاية الجليلة من سباقٍ عظيمٍ تلتحم فيه أعمال القلب والجوارح بانسجام في طاعة لله تعالى وحده لا شريك له!

ليس لتصنع في النفس حُبّ العلو في الأرض والظهور والتباهي، بل لتصنع فيها التواضع للحق والتقوى والوجل.

هذا هو التميّز في أبهى حلله وجاذبيته، يوجبه الإسلام للقلوب المؤمنة الصائمة.

قد أقبلت على امتحان صدقٍ، لينكسر الكبر في عمقها وتتطهر دقائقها، فتسجد لربّها خاشعة وجلة!

قد علمت أن تمام النجاح والسبق في العمل بطاعة ربها، إيماناً واحتساباً، أمراً ونهياً، رجاء رحمته وحده وابتغاء مرضاته وإن سخط غيرُه، بين عينيها ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾

سباق لله تعالى .. يفوز فيه الأتقى وليس الأعتى!

والله أعلم بصدق التقي وإن خفى.. وإن لم تبصره أعين الناس ولم تُسلّط عليه الأضواء ويًحيطه الثّناء ولم تُصفّق له جماهير التزلّف والنِكاية!

فلله درّ الأتقى ..

﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾.

****

2 رمضان

القربَ الوحيد الذي يجب أن تبذل له كل تفاصيل حياتك ومماتك .. هو القرب من الله ﷻ، وإن ابتعد عنك كلّ الناس وكلّ من أحببت أو وثِقت أو أنِست!

فمعايشتك لمعاني التوحيد والإيمان الجليلة في كل ما تعيشه وتشعر به وما ترجوه، هو القرب الذي يغنيك، ويصنع فيك الأمان والسكن، ويطرد عنك الهواجس والفزع مما تحذره ومما هو آت.

القرب من الله عزّ وجل يصنع حصانة للقلب، وقوة في الجوارح، ويقينًا يشدّ أزرك في قلب الخطوب المفجِعة ... يصعب على كل وصفات الطبّ أن تقدمه لك! وتعجز كل قوى البشر مجتمعة أن تُؤمّنه لك!

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

قريبٌ سبحانه! قربًا يستوجب الفداء بلا ارتياب !

ولكن الإنسان يظلِم نفسه فيطغى فيبتعِد!

في رمضان، يُعلّمك الصوم والمسابقة بالقرآن والإحسان، ورؤية العباد في إقبالٍ على الله تعالى، يُعلمك طلب القرب من الله تعالى وابتغاء مرضاته ومحبّته سبحانه، وأنت الكسير الضعيف الذي أبصر حقيقته عبدًا لمولاه، فاحترق قلبه خشية أن يتخلف عن مقامات الشرف والفضل.

لا تستهن بقوة تلك الحرقة، فهي التي رفعت عبادًا لمراتب الصدّيقيّة والشهادة .. ومن أهملها وأطفأ نورها فأبردها، نزل دركات .. ودركات! ومن نزل يستعصي عليه أن يرتفع!

أحبّوا الله، اقتربوا منه ﷻ، ادعوه بقلبٍ منكسرٍ، فالله وحده من يبقى وكلّ ما دونه فانٍ!

اللهم قربك!

سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدّك ولا إله غيرك.

****

3 رمضان

﴿ **يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾،

"إيمانًا واحتسابًا"،

تلك المعاني الوطيدة الراسخة التي تقوم عليها منظومة العقيدة والأخلاق في كيان الإنسان، فتزهر استقامةً وخشيةً ووجلًا ممتدًا.

يتقدم المؤمن منطلقًا ومتزودًا بإيمانه بالله تعالى واليوم الآخر، فتنبض حركاته وسكناته بالعمل الصالح واليقظة.. !

كيف تكون حياة من يعلم أن الله ربّه ينظر إليه، وأن يوم الحساب قادمٌ لا محالة؟!

كيف تكون خطواته نحو خطّ الموت وهو يعلم أن هناك خلفه لقاء تتصدع له القلوب وتذوب له الأكباد!

"إيمانًا واحتسابًا" .. يمشي كذلك المؤمن، مؤمنًا بربّه وباليوم الآخر، محتسبًا كلّ ما يصيبه وكل ما يبذله لمرضاة ربّه وللنجاة من يوم الحساب.

كينونة وجوده تقوم على هذه المعاني .. فما إن تنطفئ في عمق قلبه وتُزدرى وتتلاشى قيمتها الحيّة .. تنطفئ أنوارها في صفحات أعماله .. ويقسو ويجفو ويعصي ربَّه فيهلك!

وكذلك الأمم، تقوم حرّيتها ونجابتها وسبقها على هذه المعاني الموجِبة للسيّادة والأمن، فكل أمة آمنت وجاهدت بين عينيها يوم الحساب، كان لابد أن يكون بذلها تقيًا بهيًّا مسدّدًا واستحقت أن تتمكن وتنتصر.

فآمن واحتسب وجاهد تحذر الآخرة، تُبصر بنور من الله تعالى .. شهيدًا كنت أو منتصرًا.

وإيّاك وقطاع الطريق!

قال ﷻ ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦)**﴾.

****

4 رمضان

تمتد الأيام والأماني في حياة الإنسان .. وتمتد معها امتحانات الصدق!

ومهما تباينت همم الناس في مطالبهم، وتفاخروا بإنجازاتهم وممتلكاتهم، واستكبروا أو غفلوا.

فإن مدار الأمر كله في ثلاث .. ﴿ **وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾.

كل ما تعيشه أيها المسلم من زلازلٍ وخطوبٍ وفقدٍ وهرسٍ وابتلاءات، وكذلك النعم والمنح والعطايا! إنما ليمتحن الله به قلبك .. كيف هو إيمانك؟

وليصطفي الشهداء! فهل تصل لمرتبة الشهيد!

وليميّز الظالمين، ويحك إن الظلم عظيم!

وما دمت مسافرًا إلى الله تعالى .. احذر وأنت تعبر هذه الدنيا .. من بخس شرف الإيمان في نفسك وفي المؤمنين، واحذر أن تحرمك وتنسيك سفاسف الأمور ودنايا الهمم مطلب الشهادة، وإياك مرة ومرتين وثلاثًا من الظلم، ولو بكلمة!

فتلك هي السيرة الأرجى..

وردد، اللهم مع السابقين الأولين.

اللهم مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

ثم ألق الدنيا في نحور أعدائك مستعليًا بإيمانك لا تنهزم!

****

5 رمضان

ما أعظم ما يبلغه الناس في الدنيا؟

ما أجمل أمانيهم وأكمل أحلامهم، ومنتهى تصوراتهم للذّة النعيم في هذه الدنيا؟

على ماذا يتسابقون؟

الزخرف والزينة والملذّات! المال والسيّادة والعلوّ في الأرض!

كل ما يرجوه الناس ويبذلون لأجله صدقًا وتحايلًا، لا يُناجز جلال وهيبة "الجنّة".

تتعطل جميع أوصاف الوفاء لجزاء الجنّة!

ولو استجمع الإنسان كل ما في عقله من فكرة وطموح، لأعجزه وصف الجنّة!

قال الله ﷻ **﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**.

جنّات! فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر!

وفوق ذلك .. رضوانُ الله أكبر!

فأي تعبير يوفي هذا الجلال حقّه من الوصف!

ولذلك كان ذكر الجنة شفاءً وبلسمًا للقلوب المكلومة، يقول رسول الله ﷺ "ولك الجنّة"، "موعدكم الجنّة".

إنها الجزاء الأوفى لكل مصائب المسلم ولكل سعي وفداء، إنها استراحة أبدية تنتظر المؤمن المجاهد في كَبَد!

ولكن بلوغها لا يخضع لمقاييس البشر، بل لما أمر به ربّ البشر!

فلا تحسبنّ الفقير المنسيّ في زاوية من العالم أقلّ حظًّا والأخير في سباق الجنّة!

وكم من مجهولٍ بلغ مراتب الصديقيّة والشهادة لم يسمع به الناس! لكنه لا يخفى على مولاه!

وربما هناك تحت شجرة في صحراء قاحلةٍ امرأةٌ عابدةٌ، يلهج لسانها بذكر الله وبالقرآن وبصدق السعي والانكسار لربها، قد سبقت أبرز الأسماء شهرة في الشاشات!

فهذه مرتبة تتعلق بزكاء القلب والتقوى! لا بذكاء العقل والشهرة!

أيها الناس، إن السبق وحق السبق في الصدق والتقوى، لا في مراتب الفتات الدنيوي، فلا تزدري مؤمنًا ولا تغتر!

إنما العبرة بالخواتيم!

اللهم جبرًا في جنّتك ينسينا إثخان الدنيا في سبيلك.

****

6 رمضان

أخذ موسى برأس هارون ولحيته، يجره من الغضب والعتب عليه، فقال هارون: ﴿**يَا ابْنَ أُمَّ**﴾ ترقيق له، وإلا فهو شقيقه ﴿ **لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾ فإنك أمرتني أن أخلفك فيهم، فلو تبعتك، لتركت ما أمرتني بلزومه وخشيت لائمتك.

و ﴿ **أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ حيث تركتهم، وليس عندهم راعٍ ولا خليفة، فإن هذا يفرقهم ويشتت شملهم، فلا تجعلني مع القوم الظالمين، ولا تُشمّت فينا الأعداء، فندم موسى على ما صنع بأخيه، وهو غير مستحق لذلك فـ ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾.

كلما وقفت عند هذه الآية العظيمة .. ﴿ **قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾.

أدركت سعة الرسالة! وجوهر الرسالة!

وأدركت حقيقة الأخوة وعظمة هذه الأخوة!

إن هذا الدين العظيم يؤتي بركاته الجليلة لمن أحيا الناس به! وتلك هي المرتبة الأرجى في هذه المسيرة، أن يحيا الناس بالإسلام فلا يُحرموه.

اللهم قلوبًا تخشاك وتتقيك .. ترجو رحمتك وترحم عبادك .. وتُصلح فلا تُفسد وتجمع الناس على الهدى فلا تُفرّق..

اللهم حكّم شريعتك ... وحرّر أمة نبيك ﷺ .. واشفِ القلوب من كل قسوةٍ وجفاءٍ وغفلةٍ وضلالةٍ.

****

7 رمضان

تلك الآيات التي لا تستطيع تجاوزها، وكأنها وُجّهت لك خصيصًا، تلك المعاني التي تحُف قلبك وتشفي صدرك، وتحتضن هواجسك وأمانيك!

تلك الآيات التي مهما قرأتها في كل ختمة لا تنفك تبثّك اليقين وتعزز الإصرار على الثبات فيك!

تلك هي الغنائم التي لا تُناجز ولا تُشترى، تلك من فضل الله تعالى عليك.

لقد أسلم بعضهم لآية واحدة وقعت على القلب فتصدع وانفجرت ينابيع الإيمان فيه وارتقى آخر شهيدًا لحسن استجابة وصدق استجابة!

قد يكون منتهى الأماني والأحلام في تحقيق أمر آية أو بشرى آية!

لا ميراث يناجز القرآن العظيم تدبرًا وخشوعًا.

ولو قدّر الناس القرآن حق قدره صدقًا وأمانةً واستجابوا له حق الاستجابة وأوفوا عهوده بروح الفداء، لسادوا في الأرض ملوكًا وممالك عزّة وتمكين، ولخضعت لهم سائر الأمم بدفع الجزية عن يد وهي صاغرة.

****

8 رمضان

مواساةٌ عظيمةٌ تحملها قصص الأنبياء للمؤمن.

ففيها الدروس الجليلة في التوبة والمجاهدة، يتزوّد بها القلب ويستقوي ويستلهم من قصص أفضل خلق الله تعالى وحاملي رسالته – ﷺ– للبشر.

فقصة آدم تصنع الوعي بكيد الشيطان وتدلّ القلب على جلال مرتبة التوبة ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾.

وقال تعالى ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾.

وكم من السلوى والثبات تحمله قصة يوسف عليه السلام وكم من الهدي في قوله ﷻ ﴿**كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾.

وفي قصة يونس، وقصة داوود وسليمان وقصص أيوب وموسى وهارون وكل نبيّ من أنبياء الله القدوة والسيرة الجليلة للمؤمن، يتزوّد بها ويقتدي ويستدرك، ويدرك مكانة التوبة في حياة المؤمن، ويبصر فضلها وموجباتها في مقامات العبودية لله تعالى..

وبمثل هذه المعاني يستعد القلب لرحلة العشر الأواخر، ويشتد العزم والإقبال، وإن كان الظالم لنفسه أو المقتصد وإن كان كثير السيئات والتعثّر! فإنها أرجى رحلة في ليالي السنة، فيها ليلة خير من ألف شهر، فلتكن لتجديد التوبة والاغتسال من كل ذنب وسيئة وخطيئة والانطلاقة الأتقى والأثبت على سبيل المؤمنين العظيم.

فلتكن بإقبال مودعٍ وبتوبة موقنٍ متأدبٍ!

****

9 رمضان

كل يوم مضى من رمضان ولم يكن لك فيه النصيب الأرجى من السعي والبذل الذي تجبر به ضعفك وتوبتك – على قدر الاستطاعة–، هو خسارتك التي تبكيها وتعقد العزم على تداركها.

ثم التنظيم والحزم وصفة لا تخذلك أبدًا في مسيرتك لبقية الشهر الفضيل. فكلاهما معا، روح الإنجاز والثبات.

فاستجمع أمرك وشتات قلبك واستنفد الجهد في تحقيق أهدافك التي ترتقي بها في مراتب الإيمان والفضيلة.

ارسم جدولك بواقعية ومعرفة بنفسك وظروفك وإمكانياتك واستعن بالله ولا تعجز.

احزم أمرك لإنجاز مهماتك بدون تفلّت أو اعتذار. بين عينيك، عقارب الساعة واليوم والشهر! بين عينيك موجبات الفتوحات والفضل والمحبة!

ستستشعر لذة عظيمة عند إنجاز هذا الجدول، وإتمام مهماتك فيه، ستدرك أن الوقت الذي سُلّط على رقبتك كالسيف، أضحى سيفًا في يدك! أنت القائد وهو لك الخادم!

إن أفضل ما تقدّمه لنفسك في ما تبقى من الشهر الفضيل، حسن استثمارك للوقت، للدقائق والثواني، مستحضرًا فضل العبادة في هذه الليالي المباركة، مستحضرًا فضل التسبيحة الواحدة حين تخرج بإخلاص ومثابرة.

حتى في لحظات سكونك، حرّك قلبك ولسانك بذكر الله تعالى، ففي كل مقام للعبد عبادة !

قال رسول الله ﷺ: "سبَق المفرِّدونَ سبَق المفرِّدونَ" قالوا : يا رسولَ اللهِ ما المفرِّدونَ ؟ قال: "الذَّاكرونَ اللهَ كثيرًا والذَّاكراتُ".

قدّم ما تقدمه رجاء أن يوفقك الله لنيل فضل ليلة القدر! فحالك وحال هذا الموعد المهيب، كوصف الآية الجليلة:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾

الفرار إلى الله يُفدى!

****

10 رمضان

الصلاة في رمضان في زماننا .. تجتمع فيها الفضائل كلها ..!

فهي موعد الشفاء والسكينة وإحساس الأمان، ينفرد فيها المؤمن بنفسه مع ربه، فيتلو آياته الجليلة ويكبّر ويسبّح ويستغفر ويركع ويسجد ويدعو وينكسر! ليجد في كل حركة وسكون عبادة .. تتطهر فيها الروح وترتقي، حرّة موحدة عزيزة!

وهي ملجأ المؤمن الغريب في زمن الوحشة والحرب على الدين، يبثّ فيها مولاه حزنه وشكواه وضعفه وفتن الزمان وجاهلياته، ويسأله الاستعمال لكسر طغيان الكافرين، فيترمم قلبه ويجبر ضعفه ويستقوي ويستبشر!

الصلاة حين يؤديها المؤمن إيمانًا واحتسابًا، هي مقام من مقامات التوحيد والظفر، يقوم بعدها خفيفًا قد ألقى بالأثقال من فوق كاهله، منذ أول تكبيرة! واستعد للمرحلة المقبلة منشرح الصدر معظم التوكل وأكثر صبرًا وتجلّدًا قد صغرت الدنيا كلها في عينيه وتقزّمت العقبات! كيف لا وهو يصلي لله ﷻ، ربّ السماوات والأرض من بيده الأمر كله والكون برمته وما لا يقدر على إيفائه حقه من الوصف ﷻ، عقل بشر!

وهنا تتجلى معاني الآية العظيمة ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾.

فكيف يمكن لمؤمن أن يثبت اليوم في ظل توالي المحن والنوازل والمكائد لأهل الإسلام، بدون أن يجاهد نفسه على الخشوع في الصلاة وتدبر القرآن والمواظبة على تفاصيل صلاته بحضور قلب ومعايشة لمعانيها؟

كيف يمكنه أن يصمد في ملاحم الارتقاء وهو لم يتزود بالصبر والصلاة وفقه "إياك نعبد وإياك نستعين"؟!

إن أمامنا فتنًا وشدائد، تتطلب قلوبًا عامرة باليقين والعزيمة، متحرقة للاستعمال ومرتبة الفداء!

وأول بوابة للفتوحات الجليلة .. تعظيم الله ﷻ وتقديره حق قدره، والصبر والصلاة بخشوع.

ولو سألت عن تمام الإنجاز في هذه الدنيا، فاعلم أنه في تحقيق مقامات العبودية لله تعالى وأوّلها الصبر والصلاة .. وإقامة بنيان الإسلام في الأرض بإقامة شريعته في الأرض.

غايتان، من بذل نفسه في تحقيقهما، كان السيّد والملك، فكيف إن منّ الله تعالى عليه برؤية ثمار سعيه بأن يكون الدين كله لله!

ذلك هو الإنجاز الأرجى، وكل ما دونه خدمٌ له!

****

11 رمضان

تمر الليالي كما تمر الأعمار .. لا شيء يبقى .. سوى الذكرى وأحسن الآثار!

تلك النفوس التي التقيتها في طريقك إلى الله تعلمك الكثير .. من الخير والشر! تعلمك الامتنان والألم! ترسخ في نفسك دروسًا عن النفس البشرية، كيف يصنع فيها الإيمان وكيف يصنع منها الارتياب!

إن أثمن لحظات المؤمن مع المؤمنين هي تلك التي زادته قربًا من ربه ﷻ، وأقساها على نفسه تلك التي قسى لها قلبه!

وإن كان من عبادة لا تُفرّط فيها لترى أثرها في نفسك ومن حولك ..فهي عبادة جبر المؤمنين!

فإن لم تنفعهم لا تُؤذِهم، وتلك من ثمرات الولاء والحبّ في الله تعالى.

****

12 رمضان

تتفشى الغِلظة وينتشر الفجور بشكل لافتٍ في أحاديث المسلمين وتعاملاتهم ..!

لا تنفك صفة مرافقة، في البيوت كما في الشوارع، في الواقع كما في التواصل وفي السلم كما في الجدال، بين اثنين كما بين ثلاث !

والمتأمل في هدي الشريعة العظيم، يُبصر فضل خفض الجناح للمؤمنين الموجب لمحبة الله تعالى. والموجب لسلامة الصفّ المسلم وتراصّه، فالنفوس جُبلت على محبة الإحسان والعشرة بالمعروف وعلى الانشراح للكلمة الطيبة !

كما جُبلت على قبول النصح حين يخرج في قالب الرفق، وجُبلت على النفور منه حين يخرج في قالب الغِلظة والاستعلاء، ولقد كان هدي النبي ﷺ هدي القرآن العظيم في ذلك. قال الله ﷻ مخاطبًا نبيه ﷺ ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾.

وهو نبي الله ﷺ، بمقامه الجليل ومرتبته المهيبة!

واليوم سرت جرثومة الجفاء والقسوة والاستعلاء بين المسلمين، بين أوصلهم رحمًا وألصقهم جيرة وأقربهم مرجعية ومدرسة!

ففقدت العلاقات أبرز سماتها: "التواد والتراحم!".

وكل ذلك انعكاسٌ للتخلف العقدي والخلقي الذي لا نزال ندفع ثمنه مع كل محاولة للتحرر من أغلال الحكم الجبري. ونتيجة الانفصام الذي يرافق التنظير بعدًا عن العمل!

إن العزّة على الكافرين يجب أن يرافقها – فقهًا وبصيرةً وأدبًا –، خفض الجناح للمؤمنين. فكلاهما معًا يصنعان القوة في القلب، ومن فشل في إحداهما فشل في الأخرى مهما تذاكى. فهي عبادات تتكامل وتعضد بعضها البعض.

والعزّة عن إيمان غير العزّة عن مكابرة!

واللين عن إيمان غير اللين عن ذلّة!

والإيمان يهذّب النفس ويصقلها، لتصلح لا لتفسد. لتكون كل جزئية في حياة الإنسان خاضعة لأمر الرحمن.

ولا أمل في الإصلاح بدون حبّ للإصلاح، وبذل الإخلاص والاستقامة له، وإلا فما أسهل التنصل!

لقد ألان موسى وهارون القول لأعتى طواغيت الأرض، لفرعون الملعون! وألانه شعيب لقومه على سوء أدبهم معه! فما ضرّ نبيًّا استكبار كافر. فكيف بالمسلم الموحد، الذي يسجد لربه ويصوم ويتصدق.

احفظوا شرف الإيمان والإسلام والإحسان في تعاملاتكم، فرُبّ دعوة من مؤمن ورُبّ شفاعة خير من هدمٍ لا يُجبر وإيغارٍ للصدور والأذى لا ينفك يصنع الحرمان!

****

13 رمضان

لا تحسب أن العبادة تقتصر على أداء الفرائض والقربات والإحسان في سبيل الله تعالى وها قد نجوت!

بل في اجتماع الاستجابة للفرائض والمسابقة بالخيرات تنضم عبادة المراغمة والصبر والتجلد أمام مغريات الحياة وأبواب الفتن بإلجام النفس عن الحرام وسدّ الذرائع وإحباط سبل الشيطان، وإن كان ذلك في عزّ الحاجة والفقد وسهولة المخالفة والتنصل.

وعبادة التعفّف عظيمة جدًا، ترفع العبد عزيزًا في مراتب الإيمان وتُكسبه الهيبة والوقار ومحبّة الصادقين بلا تكلّف، وكفى بها صفة شهد الله ﷻ بها للمهاجرين، أولئك المؤمنون حقًا!

في حين يهدم هذه الهيبة وهذا الوقار وكذلك المحبة، الانهزام للشهوات واتباع خطوات الشيطان، والاحتيال لحظ الأماني والأهواء المؤقتة.

فسبحان من يعزّ عباده بصدق الاستقامة والثبات وسبحان من يذلّهم بمخالفتهم لأمره والتفافهم عليه كبني إسرائيل.

ولا يُعرف الناس في الدّعة وساعة الادعاء، فما أسهل التنمّق، ولكن يُعرفون بالعشرة وامتحانات الصدق ومكانة العقيدة والصدق والعهود في حياتهم واختياراتهم وأساليبهم.

فاعلم أن تعفّفك مقياس صدقٍ فيك، وإعراضك عن الحرام وإن فتحت أبوابه عليك، مقام بطولةٍ وشرفٍ.. وأن الإخلاص قولٌ وعملٌ وثباتٌ في ملاحم الارتقاء .

ثم التعفّف من موجبات الثبات في الجهاد كما الإيثار !

فقدّم لنفسك لا تتخلف!

****

14 رمضان

بين ثنايا النوازل والهموم المثخِنة التي ترهق قلوب المؤمنين في زماننا، يتراءى تفصيل مهيب، يصنع الاعتزاز والقوة والاستبشار.

تلك القلوب التي اجتمعت من شتات الأرض وزوايا الخريطة، على فضاء التواصل فانسجمت محبة في الله وتآخيًا ووفاءً!

رغم حجم الفقد والجفاء المتفشي في الواقع يأتي لطف الله تعالى بعباده الغرباء بمحبة فيه تعالى، تشدّ عضدهم وتنفي عنهم الابتئاس وتجمعهم في أسرة المتحابين في الله تعالى وما أدراك ما المحبة في الله !

"قال اللهُ عزَّ وجلَّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتي للمُتحابِّينَ فيَّ، والمتجالِسينَ فيَّ، والمتزاوِرينَ فيَّ، والمتباذِلينَ فيَّ".

وتلك من فضائل الإيمان الجليلة وموجباته الفريدة التي لا تُعد ولا تُحصى!

إن لنا إخوانًا التقيناهم على مواقع التواصل فكانوا حجة على معادن الدّخن والتبديل وسوء الظن بالمؤمنين، يحبّون لإخوانهم ما يحبّون لأنفسهم، فأوجبوا لهذه الأنفس الكريمة الطيبة، المحبّة في الله تعالى.

معزتهم لا تُبارى ولو فرّقتهم الأميال والمسافات، وصدقُ محبّتهم وحضورهم، معلمٌ بارزٌ لعظمة أخوة الإيمان وشرف الإسلام، في زمن كساد القيم والفضيلة وغلبة التنكّر والغدر!

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله – ﷺ –: "إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي".

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: قال الله عز وجل: "المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء".

لن تجد أعظم من هذا الجزاء لمن أحب بصدق في الله ﷻ !

وليس هو لمن أحبّ المرء لهواه أو لدنياه، أو لمصلحة عاجلة يرجوها منه، فهذه محبّة لحظّ النفس وجشعها، تغدر وتخذل ولا تُسعف.

فاللهم أحبّ من أحبنا فيك وتمّم لهم أمانيهم وجنّبهم الكرب والخذلان والهزيمة! اللهم اصرف عنهم السوء واجمعنا بهم في مقامات العزّ والظفر والفتح في الدنيا، ومع السابقين الأولين على منابر من نور في الجنّة.

شكرًا لحد الشكر الأوفى للمتحابين في الله تعالى، فأنتم قصة نجاح في زمن تفشى فيه الفشل، ودلالة صدق في زمن غلب عليه الدجل والكذب، وبشرى الحق والفضل!

أنتم أركان النصر والفتح والتمكين!

****

15 رمضان

المتفرّس في واقع المسلمين اليوم، يجد الحاجة الماسة والمصيرية لإعادة القيمة الأوفى للصدق والأمانة، لإعادة الهيبة العظيمة للتربية الإيمانية والعقدية، لترسيخ الخشية والوجل والتقوى في النفوس حقيقة وليس تنظيرًا مترفًا ...!

فتلك هي المنظومات الشاملة الراسخة، تلك هي حزام الأمان في المسيرة، وتلك هي الحصانة من الفتن والمظالم والانحرافات.

وما أُتينا إلا من إهمال أمراض القلوب، ومن الجهل بحقيقتها وبعلاجاتها ومن سوء تشخيصها والاستهانة بها!

وما ذلك إلا جزء من ضريبة العيش الطويل بعيدًا عن سلطة الشريعة وحرمان المسلمين من عيش آمن مستقل بدينهم وهويتهم .

وكان الثمن مثخنًا!

ليست قيمة المشاريع في إطلاقها وفي دعاياتها! ولا حتى في أدبياتها وفي أهدافها المعلنة، وإن كان في ذلك أول مقاييس الصلاح، بل قيمتها الحقيقية في النصاب المنجي من الصدق والثبات والحصانة من الفتن والمظالم والانحرافات على امتداد محور الزمن.

وما أخطره من محور لا بد فيه من امتحانات الصدق ومن زلازل التمحيص والتمييز، لا بد فيه من مواجهة حقيقة "أم حسبتم!".

فمن كان له دعوة صالحة في هذه الليالي المباركة وفي كل مقامات الاستجابة، فليجعلها لأهل الثغور، وصية ونصيحة!

فإن صلاح أهل الثغور عزّ ونصر وتمكين، وفسادهم ذلّة وهزيمة واستعباد تطول فصوله حتى يأذن الله بالفرج!

قال رسول الله ﷺ: "أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ".

سلعة الله غالية جدًا! ودون مراتب الصدق هرسٌ وملاحمٌ!

فاللهم ثباتًا حتى النصر أو الشهادة!

****

16 رمضان

لا يمر يوم إلا وأخبار الموت المعلم البارز فيه.

لكن النفوس تغفل .. عن لحظتها الأخيرة .. تنسى أنها مقبلة عليها لا محالة..!

قد ركنت جدًّا للدنيا، واستوطنتها وترسّخت آمالها فيها وألهاها التكاثر !

فإن كان من إحسانٍ هو الأرجى تقدّمه لنفسك في ازدحام وتدافع الأحداث، فهو أن تحدّثها عن لقاء الله ﷻ، كيف تتمناه وكيف تُعدّ له..!

حدّثها عن ملائكة الموت، ولقاءٍ مهيب ترتجف له قلوب المؤمنين شوقًا ووجلًا..لا رجعة للدنيا بعده بل حقيقة نتيجة الامتحانات فيها!

حدّثها عن الصحبة التي تحب مرافقتها بعد خط الموت، عن المرتبة التي تُفدى وإن أثخن فيك العدى واشتدت الغربة!

"سلام عليك" من رب العالمين في لحظة فراق الدنيا .. ليس كأي سلام يصل المؤمن !

فاجعل كل دنياك فداء لذلك السلام الأشفى!

فاللهم سلامًا منك، ينسينا الحزن والكرب والفواجع المؤلمة في هذه الدنيا في سبيلك.

اللهم زفّة الشهيد في عرسٍ يغبطنا عليه الأولون والآخرون.

****

17 رمضان

اعلم أن علاقتك بربك، هي العلاقة الوحيد التي ليس لقوة أن تقطعها أو تمنعها مهما بلغت من جبروت وطغيان واستكبار في الأرض.

كما لا يمكن لقوة على الأرض ولا في السماء أن تمنعك فضل الله تعالى ولا رحمته، ولا يمكن لإنسان مهما بلغ به الدهاء والخبث من أن يحرمك عطايا ربك ونصره وتأييده ومعيته ولو حالف كل أهل الأرض ليمنعوك ما كتبه الله لك!

قال الله ﷻ:

﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ العزيز الرحيم﴾.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

هذه صفقات لا تُباع ولا تُشترى في أسواق البشر، هذه بيعات ممهورة بالإخلاص والصدق والفداء! ولا يحكم فيها غير الله عز وجل.

الأمر كله لله تعالى، فرابط على القرآن والسنّة وسير السلف الصالح وآثارهم وتأدّب بأدبهم واستقم على سبيل السابقين الأولين، ولا تلتفت لكثرة المغرورين والمتخلفين والمبدّلين! يحدوك في كل حين وموقف هدي الآية الجليلة:

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾.

****

18 رمضان

العلم هو الخشية !

والخشية أخصُّ من الخوف، لأنها صفة العلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾.

والخشية خوفٌ مقرونٌ بمعرفة، ولذلك أثرها عميق في النفس، عميق لدرجة تنعكس على أقوال وجوارح وأعمال العالم، إخلاصًا لا يشوبُه ريبة، وحفظًا لحدود الله تعالى لا يقبل المجاملة، وحفظًا لحقوق العباد لا يرتضي الظلم والبخس.

قال النبي ﷺ: "إِنِّي أَتْقاكُم لله وأَشَدُّكُم له خشيةً".

ومن فقد الخشية، وإن ادعى العلم، مفتون!

قال ابن رجب :"أكثر الناس يرى أنه يخشى الله في العلانية والشهادة؛ ولكن الشأن في خشية الله في الغيب إذا غاب عن أعين الناس".

ومع غلبة الجفاء الذي أصاب القلوب وضعف الخشية الذي فتك، وحالة الغرور التي ضخمتها مواقع التواصل وفقدان البوصلة والهدف الأجل، أينما وجدت قلبك يقسو ارحل! لا تقعد في وسط يحرمك موجبات الخشية من الله عز وجل، وسط تجف فيه عينك وتطغى فيه نفسك وتغتر!

ومن الأسباب التي تحرم الخشية: الظلم والمراء والكذب والعجب والاستعلاء على المؤمنين وكتمان الحق لحظوظ النفس.

ومن وهبه الله الخوف والخشية، وإن كان ضعيف الطلب والتحصيل قليل العلم والمعرفة، لهو خير من كثير من مدّعي العلم على المنابر، قلوبهم قاسية، لا يخشون ربهم قد شغلهم بريق التصدر والإثارة، عن مقامات السبق الأرجى!

****

19 رمضان

ضع جدولك لثلثي رمضان جانبًا، واستعد لرحلة الثلث الأخير من الشهر الفضيل.

رحلة العشر، رحلة الإقبال المؤيّد..!

فلتضاعف من معدل عباداتك، ولتحدد أهدافك بحزم، ولتستعد بالانكسار والتوبة والإنابة، برجاء رحمة الله ومرضاته، بالترفع عن سفاسف الدنيا وغرورها.

استعد لإطالة قيامك، ولإتمام أذكارك بأقصى ما يمكنك، ولمعايشة خشوعك، ولجريان عينك وسجود قلبك.

استعد لها بالتفكر والتدبر واغتنام العبادات والقربات الأخفى!

ولتعد مع كل ذلك، دعواتك الأرجى بيقين لا ينضب وحسن ظن بمولاك بصير، لتبثها في سحر وعند الإفطار وفي لحظة يهتز لها القلب، في موعد مهيب، لرب العالمين.

واشدد وطأة أدعيتك على الكافرين والظالمين، واشدد بها أزر المؤمنين والمجاهدين.

وأكرم نفسك فأنت تسأل كريمًا عظيمًا. لا ترضى لها دنية، غاياتك أبية لا تنهزم !

أقبل بروح شهيد ونيّة مودّع، أقبل للاغتسال الذي تنبعث به موحدًا لا يخشى إلا الله عز وجل.

أقبل في سباق ترى فيه ما لا يعد ولا يحصى من العباد يبذلون فتفزع نفسك أن تكون من الخوالف، واجعل الحياء من الله عز وجل وقود همتك، فإن الاستجابة على قدر الصدق على قدر حرقة الحياء!

لتكن العزيمة على الخروج من رمضان، أشدّ حبّا لله، أشد نقاوة وطهارة وقوة انبعاث لإعلاء كلمة الله تعالى في نفسك وفي الأرض، لرفقة الأنبياء والصديقين والشهداء في الفردوس الأعلى من الجنة.

****

20 رمضان

ليالي الوتر من العشر مواعيد عزيزة جدًا.

ومن أرجاها ليلة الجمعة.

بركات تحفّ المؤمنين، بحضور مهيب، لتذكرهم بعظيم الفضل والأجر والفرصة!

الصلاة وتلاوة القرآن والصدقات، عبادات لا تغيب عن أكثر الناس في هذه المواعيد العزيزة، إلا أن الذِّكر وما أدراك ما الذِّكر من أجلّ العبادات التي يجب أن يشملها جدول مسابقتك.

وإن كان فتح الله على عبده بالذِّكر فضل عظيم منه ﷻ، إلا أن مجاهدة النفس على إيفائه حقه من حضور القلب والعناية بالإحاطة بكل أنواع الذِّكر، لهو من الأسباب التي تنشرح لها الصدور وتشتد بها الجوارح وتتضاعف بها الأجور.

فأعدّ قائمتك من الأذكار ولا تترك ذكرًا له فضل إلا وذكرته، في أيّ حال كنت، وأبقِ قلبك حيًّا، فإن حياة قلبك هي غنيمتك الأرجى في هذه الليالي الأعظم على مدار السنة.

وأما الدّعاء، فسلاح المؤمن يحتضنه موقنًا بالإجابة، فلا ينس إخوانه ولا ينس المستضعفين بأطيب الدعوات، كما لا ينس أعداءَ الدين والطغاة المتجبرين بأقسى ما يفتك بهم!

ولا ينس المهاجرين والأنصار وكلّ عامل لإعلاء كلمة الله تعالى خالصة له ﷻ!

لا ينس أمانيه الأعز والأرجى!

مجرد استحضار أن الله تعالى ينظر إليك، يذوب القلب ويرجو السبق، قال رسول الله الحبيب ﷺ:"سبَق المفرِّدونَ سبَق المفرِّدونَ".

لا تسمح لأحد أن يؤخّرك!

اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

اللهم جوار رسول الله ﷺ وصحبه الكرام ﵃ وأرضاهم، لا نبتغي لذلك بدلًا.

****

21 رمضان

تتآزر الوصايا والتذاكر الجياد في ليالي العشر العظيمة، وتُحرّض المؤمنين على العبادات والقربات وكل ما يشدّ الأزر من حسنات وأبواب إحسان، لكن كل ذلك وإن كان مطلوبًا وعظيمًا، لا يكفي!

لا بد من حفظه كله وبيقظة ووعي، من معاول هدمه، من معاول نقض الغزل التي تهدده، وإن أخلصت نيّته ومقصده. فهناك خطر العجب والغرور وتزكَية النفس المهلكة.

يقول الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا** ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿ **فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾.

فلا أهلك للنفس بعد الردة من سبيل الغرور والعجب والتزكيات المتجبرة، وحب التفرد بالصيت الذي هو صفة نفاق عند السلف.

وكم من مفتون يحسب نفسه يحسن صنعًا وهو مجرد مفتون! وأخطر ما في المفتون أنه لا يرى ضلالاته ولا يبصر عيوبه وانحرافاته، فهو المزكّى، الولي المؤيدّ، هكذا غرّته نفسه!

فأيها الناس إيّاكم ومن يزيّن لكم التواصي بالتزكيّات المضللة، والتعاون على الإثم والعدوان باسمها، فيمشي المفتون قد عمي بصره وبصيره مختالًا فخورًا، يزدري المؤمنين ويستعلي عليهم ولا يحفظ شرفًا لعبد من عباد الله إلا أن يكون من قبيلته وعصبيته! قد احتكر الفضل والخير في عصبة جاهلية حصرًا!

وإن أعجبك قوله، فزوّقه ونمّقه، يكفيك تزكيته لنفسه ليسقط سقوطًا يوجب الشفقة!

اللهم لا تسلط هؤلاء على المؤمنين، اللهم اكفنا شرهم بما شئت.

****

22 رمضان

المؤمن الذي يرجو رحمة الله ﷻ، يُدرك مكانة الصدق في كل المشاهد والتفاصيل، يعلم أن البيعات الموجبة للارتقاء، يجب أن تنبض صدقًا وإخلاصًا لا يقبل المساومة ولا البخس ولا التأخير مهما تعرض للابتزاز والبغي والأذية.

قد علم موجبات النصر فلم يلتفت لغير مرضاة ربه عز وجل. داعيًا لله، ومصلحًا ومجاهدًا وفاتحًا. وتلك سيرة تتطلب الكثير من الصبر والرسوخ والثبات والتقوى.

وكلما قوي الصدق والإخلاص، قوي الحق في القلوب، وأبى أن يهون في النفس لحدٍ ترتمي في أحضان الموت ولا يُهان الحق أو يُطمس!

إن كنت صاحب عقيدة وجهاد تحمله أمانةً وإخلاصًا واستقامة، فإياك أن تنهزم لتكاليف المسيرة، أو تتراجع لرواج السفاهة وأصناف الضلالة والتعاون على الإثم والعدوان.

فإن كل لحظة ثبات في سبيل الله تعالى .. توجب لك التأييد والمعيّة بما يغنيك عن كل البشر في هذه الأرض. ولو مضيت وحيدًا غريبًا مشردًا، أنت الأبي وأنت المؤمن المنصور المؤيّد.

إن لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله ﷻ شرفًا لا يرخص، ولا يقبل أن يتاجر به لحظوظ النفوس وأمراض القلوب، وشهوة العلو في الأرض. بل دونه بذل وفداء

يُستقى من نماذج السبق للجيل المتفرد، فتلك هي الصحبة الأوفى وتلك هي النصرة الأرجى.

والله ﷻ لا يُظلم عنده أحد، فاستقم كما أمرت ولا تتبع أهواء البشر، فلن يغنوا عنك من الله شيئًا لحظة اليقين والفصل!

لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، ليست حبرًا على ورق، ولا ادعاء ينسخ ويلصق، بل عقيدة وجهاد ومراغمة وخشية ووجل وتحصّن من الظلم والفتن، وإخلاص الدين لله الواحد الأحد، لا لأحد من عباده وإن حازوا كل شهرة الأرض.

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم شهادة في سبيلك، ومرتبة الرضوان والفضل الأبلغ وإن كان ثمن ذلك أن يعادينا كل من في الأرض وإن كان ثمن ذلك اشتداد الغربة وطغيان الظلم.

فسلعة الله تعالى غالية وغالية جدًا لا تقبل المجازفة!

ومن أبصر النور وذاق لذّة العزة، عافت نفسه الظلام وعيشة المذلّة.

لا عيش إلا عيش الآخرة، فاللهم اجمعنا بالأنصار والمهاجرة.

****

23 رمضان

قد تشعر بالحزن، بينما تمضي ليالي شهر رمضان العظيمة مسرعة وأنت المتأخر..

تعزّ عليك نفسك ويعتصر قلبك .. كيف لم أتمكن من تحقيق أهدافي كلها في هذه الليالي التي مضت بينما الناس تسابق؟!

قد تشعر بالإحباط، أنّى لك منافسة ذاك الذي ختم الختمات الكثيرة، وذاك الذي ذكر الله كثيرًا وأنفق وتصدّق!

هوّن على نفسك !

فإن السباق لله ﷻ، مسافات نقطعها بالقلوب، بالوجل والتقوى، بالمحبة والرجاء والخشية في كل العبادات .. مسافات، رأس مالك فيها إخلاص التوحيد واتباع السنة، ورجاء رحمة الله تعالى ومحبته والوجل!

ليست بالكمّ بل بالصدق، بحالة القلب بكيف تخرج من شهر رمضان تقيًّا.

ولذلك فإن لحظات الصدق في مقامات العبودية لله ﷻ، التي تعيشها خلال هذه الليالي بشعور الانكسار، اللحظات التي تستشعر فيها حضور القلب وإن قلّ اجتهادك نسبيًّا، هي أثمن لحظات حياتك. هي ماء الحياة لقلبك والانبعاث لروحك!

ثم الله تعالى ينظر إلى القلوب والأعمال، فكيف لو أن الله نظر إليك في لحظة وقد تصدع قلبك وجلًا! فتكون فيها نجاتك!

لا تبتئس على ما فات، لا يزال أمامك ليالٍ مهيبة جدًا مقبلة، وإن فزت بعبادة في ليلة القدر، فتلك أغنى غنيمة.

أعدّ قلبك عزيزًا وعزيمتك عنيدة! لا تنهزم.

وردد، اللهم أحببتك فأحبني! اللهم أتيتك ببضاعتي المزجاة، فاغفر لي واجبر ضعفي وزلّتي!

أكثر من الصدق أكثر من البثّ، فالله قريب مجيب خبير بصير بقلبك، لا يرد سبحانه صادقًا منكسرًا!

تعهد قلبك في هذه الليالي العظيمة .. تعهده بالصدق فهو تمام الظفر إلى نهاية الشهر.

****

24 رمضان

ستدرك جيدًا قيمة تلك اللحظات التي كنت تُقيم فيها نفسك على ورد القرآن العظيم، طوعًا وكرهًا، وتجبرها على التزام التلاوة والتدبر والحفظ.

ستدرك قيمة كل لحظة كنت تجاهد نفسك فيها على أن يكون القرآن أوفى صحبة لك وقيمة كل مجاهدة تستل فيها همتك لتقبل على القرآن دون كل الملهيات من حولك.

لكنك ستدرك ذلك حين يصبح موعدك مع القرآن العظيم هو الأهم والأهيب، وحين توجعك نفسك وتتألم لحظة الانفكاك منه بعد قضاء الورد!

ستدرك ذلك بإجهاش، حين تندم على كل لحظة بعد عن كتاب ربك، وآياته العظيمة، وتدرك موجبات المداومة والرباط.

ولن تذوق لذة السعي حتى يهرسك الطلب !

وحتى تقدم برهان الصدق.

ولكن تذكر دومًا .. إلا أن يشاء الله ﷻ!

فاسجد واقترب وابتهل .. حتى يأذن مولاك بالفتح!

****

25 رمضان

المتأمل في لحظات الاجتهاد خلال الليالي العشر الأخيرة، يتعلم درسًا عظيمًا.

إن التوفيق للعبادات، للأدعية، للقربات، ليس في الواقع محض عملية رياضية، إن فعلت كذا حصلت كذا!

إنها عملية تقوم على ميزان الصدق، الذي يحدد كل شيء!

يحدد حتى درجة الحرقة، ومستوى حضور القلب، يحدد مدافع الدعاء ويجري على لسانك ما لم تخطط له ولم تعده مسبقًا! بل يحدد عبادات لم تخطر على بالك رغم كل ما حشدته من إعداد، فترى فيها الفضل العظيم الذي كاد أن يضيع منك!

يحضرني هنا نص بديع لابن القيم، رحمه الله تعالى، يقول فيه: "لا يزال المرء يعاني الطاعة حتى يألفها ويحبها، فيُقيض الله له ملائكة تؤزه إليها أزاً، توقظه من نومه إليها ومن مجلسه إليها".

هذه المعاناة هي دلالة الصدق، ولها موجباتها الرضيّة.

فاسألوا الله الصدق، وأبشروا بأزّ الملائكة!

إن الصادق لا يخذل نفسه ولا يخذل مؤمنًا!

فاللهم صدقًا لا ينضب ولا ينهزم إلى لقياك جل جلالك.

وسلام الله على الملائكة!

******

26 رمضان

يتلعثم قلبك ولسانك .. وأنت في مقام دعاء مهيب!

تتدافع العبرات في صدرك ولا ينطلق لسانك، وتودّ لو أنك تحفظ كل الأدعية المأثورة فتبثها في حرقة وشجن؟

رويدك! أنت تتعامل مع الله ﷻ، الذي خلقك وأبدع في خلق الإنسان وتفاصيله الكثيرة والمعقدة وكل شيء! فلا تشغل بالك بالسجع والضبط والحفظ، بل يكفيك ما تيسر لك من الأدعية. وأما البقية، فمقام بثّ للشكوى والضعف والرجاء.

لا يتطلب تكلفًا، بل صدقًا، ولا يتطلب تنمقًا بل انكسارًا،

يتطلب قلبًا يُجهش وجوارح تخشع وأدبًا!

فإن جمعت هذه الأسباب، حُقّ لك النعيم بلذة انشراح الصدر والأمان.

ولو أنك رددت كل الأدعية بأفصح ما يكون وقلبك فارغ وأدبك متناثر، فأنت المنهزم في مقام ظفر.

الله ﷻ يعرفك بكل ذرّة فيك .. فقدم لنفسك بين يديه، تعظيمًا وإجلالًا وحسن ظن به تعالى. واسأله كل ما تريد، وأرجى ما تتمنى وتطلب!

وليضم دعاؤك لنفسك، الدعاء لمن تحب وللمؤمنين والمؤمنات ومن هو في كرب.

فإن في ذلك لذّة إيثار وكرم، موجبة للفضل.

وإن كان من بقية كلمة، فاحتسبوا بشدة الصبر على الفقد والبلاء والفواجع، فرُبّ صبر ورضا بالأقدار المؤلمة هو الأرجى في رفع الدرجات أكثر من كل العبادات في يسر ودعة!

فاللهم جبرًا ومنحًا ومحبة تغنينا!..

اللهم استودعناك قلوبنا وأعمالنا وخواتيمنا.

اللهم اغفر لإخواننا المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

****

27 رمضان

أعيتك الخطوب والابتلاءات وطغيان الفجار؟

أثقلتك همومك ومشاكل لا تنتهي على مدار الأيام؟

كل ذلك لا شيء أمام ما ينتظر الإنسان لحظة الموت، لحظة الحقيقة واليقين!

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت!

ليكن مشهد قبرك بين عينيك واعظًا لك .. وحالك في هذه القبر شاغلك!

فوالله لا فرار من موعد الموت ولكن صدق السعي والمحبة يجعلان منه موعدًا عزيزًا يُرتجى واستراحة منشودة يُبذل لها، وليس ذلك إلا للأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين!

فاللهم لقاء السعداء!

****

28 رمضان

للقوة والضعف الأسباب والعوامل الموجبة، وكل شيء في حياتك مؤثرٌ بشكل حسن أو سيء .. شئت ذلك أم أبيت!

فلذلك لا يغامر اللبيب في مستنقع من أسباب وعوامل الضعف مظهرًا التحدي على الثبات! لأنها مغامرة متهورة تنتهي بفتنته وبخس ما يحمله من قيم ومبادئ وأهداف ولا بد مهما تجاسر!

بل يضع نفسه في وسط يستقوي فيه بكل جزئية فيه، فتلك هي البصيرة وذلك هو الفقه!

ما يحدث في زماننا، غلبة عوامل الهدم وتشتت السبل والخلطة المرجفة، فتضعف الكثير من الهمم والمشاريع والآمال الواعدة المشرقة – في مهدها– لا تشع ولا تنير قد ذبلت !

وعلاج ذلك، العودة الحاسمة لمنارات الطريق: القرآن والسنة وما كان عليه السلف الصالح وإقامة النفس على أنوارها، ولو كان في وحدة وغربة تشتد..!

فلن يخيّب أبدًا ظنّ من رسم خطواته واستراتيجية أهدافه في الدنيا والآخرة، وفق هذا الهدي العظيم .. وإن خالفه كل الناس وإن ازدراه كل من حوله!

القضية ليست في لحظات إرضاء الآخرين أو إرضاء حظّ نفسٍ أو مجاراة واقعٍ مخالف غير سليم! بل في لحظة صدق واحدة لإرضاء رب العالمين، قد تكون أرجى أعمالك كلها، فتنال قبولًا لا سخط بعده!

لا تستهن ببيعات الصدق وعرابين الصدق ودلالات الصدق فإنما هي موجبات القوة في قلبك وأدائك..وبوابة الفتوحات الربانية !

أما التردد والبخل والتشتت والتحايل وكل ما فيه الاضطراب والارتياب، فنقض غزل وتأخر لا يليق بمؤمن يرجو ما عند ربه !

إياك أن ينطفئ مصباح اليقين في قلبك! ولو أظلمت كل المساحات من حولك.

****

29 رمضان

المؤمن التوّاق، يستثمر كل لحظات حياته في مشروع العبودية لله الواحد الأحد.

هو لا يرى حركاته وسكناته، وأهدافه وأمانيه إلا أسباب تمكين للإيمان في مسيرة ابتغاء رحمة ورضوان الله ﷻ.

يبحث بين ثنايا التفاصيل الكثيرة والمهملة، عما يحتسبه تمام الاحتساب فلا يبخسه حقًا .. فالابتسامة في وجه أخيه عبادة، وصلة الرحم في ظرف حربٍ عبادة، ومواساة المؤمنين في كربٍ عبادة، ونظِرة إلى ميسرة في دينٍ عبادة، وسداد دينٍ عبادة، وصحبة ليؤمن ساعة عبادة، والعفو رغم فتك الفجيعة عبادة، والصبر والمصابرة رغم ظلام المشهد عبادة، والرضا بقدر الله المؤلم عبادة !

ما أعظم هذه الصفقة بين العبد وربه تعالى.

حياة كاملة بكل تفاصيلها وجزئياتها، لله تعالى .. وموت يُخلَص السعي نحوه لله تعالى.

فمن يهزم عبدًا، ذرّات حياته ومماته عبادة!

وهل يأسى مثل هذا العبد على شيء من هوان الدنيا أو فتاتها أو تنكّر الزمان!

وهل يهزم من كان وحي القرآن في قلبه يتردد في اليسر والعسر، في السلم والحرب، في المنحة والمحنة؟

سلام الله على المؤمنين التواقين.

قلوبٌ حاضرة هناك رفقة الأنبياء والصديقين والشهداء، وبيننا هنا في كل ملحمة عبادة!

****

30 رمضان

قال نبينا ﷺ:"لا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلالَ وَلا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ" رواه البخاري ومسلم.

كما الصيام عبادة فالإفطار عبادة !

والتزام أمر النبي ﷺ يعني الاقتداء بما كان عليه نبينا فدته النفس، واتبعه عليه سلف الأمة، صحابته الأخيار رضي الله عنهم.

لم يكن لديهم حينها حسابات فلكية ولا متابعات فضائية!

بل كان التحري يعتمد على شهادة الشهود العدول. وكفى!

فإن تحققت الشهادة، أوجبت الفطر! وإن لم تتحقق، فإتمام العدة، بلا تلجلج ولا اضطراب هو الفقه.

وهذه تكفي المؤمن، فلا يتعمق ولا يغوص في الظنون والشكوك والهواجس، لأنه متبع لأمر الله ورسوله ﷺ ويعلم أنها سبيل القبول والفلاح.

قال الله جل جلاله:

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر على كل من طغى وتجبر، الله أكبر ماضية إلى تمكين دين الله في الأرض، وإن كره الكافرون والمنافقون وأحلاف الطغيان والشر.

رددها أيها المؤمن، تحت الخيام وفي التشرد والنزوح!

رددها تحت القصف أو تحت بارقة السيوف!

رددها في كل حال ومكان كنت! يرتجف فيه جسدك أو يأمن!

فأنت المؤمن الأبيّ يهلل ويكبّر.. !

ولا يتخلّف عن مقامات التكبير مؤمن موحد.

****

1 شوال

تهنئة خاصة جدًّا .. لأهل غزة الأعزّة.

تقبل الله صيامكم وقيامكم وصبركم واحتسابكم لكل فجيعة وقهر، لكل فقد وألم وكسر، لكل شعور عزة يعتصر في القلب! والأجر على قدر المشقة.

فشتان بين من يظهر شعائر الله في دعة وأمن وبين من يظهرها بين ركام الهدم وجنازات الشهداء وتحت قصوفات الطغيان والحقد الأنكى.

تقبل الله منكم كل لحظة خوف وتوجس يحفها الإيمان بالله تعالى واليقين بأن الأمر كله بيده ﷻ.

عيدكم عيد مخضّب بالدماء والخذلان، عيد اجتمع فيه المغضوب عليهم والضالين وطغاة الأرض وأذنابهم لقتلكم والشماتة بمقتلكم، ولكن!

العبرة بالخواتيم وشرف الخواتيم.

عند الله لا يضيع ثبات المسلم ولا يهون!

عند الله تمام الجبر والعوض والسعادة.

وكل ما أصابكم بالاحتساب رفعة تُفدى وترتجى.

كبّروا بعزة، وأظهروا شعائر الدين بإباء. فما دمتم المسلمين لله الواحد الأحد، لم يفتكم شيء من هذه الدنيا الدنية!

ووالله إن الحجر والشجر والسماء والأرض لتشهدن الانتقام الأوفى من القتلة الكفار الفجرة.

فصبرٌ جميل وإنا غدًا لناظره لقريب.

كل عام وأنتم إلى الله أقرب وأخلص وأحب، كل عام وأنتم في حلوق الكافرين شوكًا وعلقمًا وعقبة لا تنهزم.

أتم الله عليكم عيد الفطر بالقبول والمغفرة والرضوان واليسر والمنح والجبر والرضوان والمحبة.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

****

أيها المحزون المكروب في العيد، يا من اجتمعت عليه من كل حدب وصوب الهموم والغموم والديون والمآسي المظلمة.

أعظم التوكل على مولاك، لك رب لا ينساك، أقبل عليه بحسن ظن، وأبشر برحمته تتنزل.

والله لا ينسى ربك أحدًا، والله لا يظلم ربك أحدًا.

إخواننا الأويغور المستضعفين، المكتوم صوتهم بإجرام الملحدين في الصين، كل عام وأنتم إلى الله مسلمون ثابتون على الإيمان ولو في اضطهاد، أتمّه الله عليكم بالمغفرة والقبول والنصر على أعدائكم وتمام القصاص لشهدائكم واجتماع شتات صفوفكم في مساجدكم مكبرين مهللين منتصرين أعزة.

إخواننا الروهينجا، تهون مصائبكم بالذكر والاحتساب، تهون الخطوب والفواجع بالثقة بوعد الله تعالى. آواكم الله ونصركم وأبدلكم وطنًا خيرًا من وطنكم ومساكن خيرًا من مساكنكم، احتسبوا واصبروا، حتى يأذن الله بالفرج. فليكن عيدكم عيدًا مباركًا بالقبول

والرضوان من رب السماوات والأرض وليفتح الله عليكم أبواب الرزق والأمان من حيث لا تحتسبون ويسخر لكم عباده في كل مكان.

إخواننا المسلمين في الهند وإفريقيا الوسطى في كل قطر يضطهد المسلم ويتجرع قهر الذلة، أيدكم الله بنصره وبالمؤمنين، وسخر لكم الأقوياء الأمناء الذين يحفظون لكم شوكتكم وسيادتكم في الأرض، وجمع الله صفوفكم متراصين كما في صلاة العيد، في ميادين الظفر والعزة، تقبل الله عباداتكم وأتم عليكم العيد بالقبول والرضوان.

إخواننا المسلمين في السودان، هوّن الله عليكم مصابكم، وجبر ضعفكم واقتص ممن ظلمكم، وأيدكم بالقوي الأمين الذي يعوضكم سنين القهر والاضطهاد والطغيان، تقبل الله منكم وأيدكم بنصره وبالمؤمنين.

إخواننا المسلمين في عرض البحار وقوارب اللجوء ومتاهات النسيان، هداكم الله لخير الملاجئ وأشفاها، رحمة الله تعالى ولطفه، أيها المشردون، فروا إلى الله مولاكم، يهدكم سبله وينصركم ويؤيدكم بمعيته وتوفيقه ويفتح عليكم أبواب الرزق من حيث لا تحتسبون، تقبل الله صيامكم وقيامكم وأتم عليكم العيد بالتوفيق والمعية واليسر والبركة. أيها المغتربون، أعزكم المولى بدينكم في ديار الإسلام.

إخواننا المسلمين في أسرى الطغيان والظلم، مدرسة يوسف ومحطات الامتحان، لا يبتلى فيها مؤمن إلا وخرج أعزّ وأقوى، فالله تعالى لا يحرم عبده الصادق المصابر فضله، فاحتسبوا

وأيقنوا أن الابتلاء داخل أسوار الزنازين بعزة الإيمان والتوحيد والسنة لهو أشرف من عيش ذليل خارجها مع هوان الدين والحق في النفوس. تقبل الله عباداتكم وقرباتكم ودعواتكم وشفا صدوركم وقلوبكم بنصر من عنده وجزاء هو الأوفى والأجمل.

أيها الأيتام وأسر الشهداء، يا من عانيتم الفقد والفجيعة، أحسنوا الظن بالله، واصبروا ليعظم الأجر وترتفع المرتبة، فسلعة الله تعالى غالية وغالية جدًا، وما عنده خير وأبقى، تقبل الله عباداتكم وأقر أعينكم بعزة الإسلام والمسلمين.

إخواننا المسلمين جميعا، جمع الله صفوفكم على محبة الله تعالى وخشيته ورجائه ورضوانه، متعكم الله بالعيش تحت ظلال شريعته وأنار قلوبكم وحياتكم بنور منهاج النبوة، أقر الله أعينكم بسيادة يغبطكم عليها أهل الأرض، وأبدلكم أعيادًا تشهدون فيها أعداءكم وهم يدفعون لكم الجزية عن يد وهم صاغرون .

فالإسلام يعلو ولا يُعلى عليه.

والله أكبر ولله الحمد.

****

أسعدوا الصغار، أسعدوا القامات الصغيرة التي ستكبر يوما وتحمل راية الإسلام،

عظموا شعائر الله في قلوبهم، عودوهم التكبير وعزة الإسلام،

أشعلوا في قلوبهم محبة الله ورسوله ﷺ ونصرة الإسلام والمسلمين.

حفوهم بالدعوات وبالاهتمام، العيد عيدهم، في حرب أو سلم،

العيد لجيل يجب أن يكبر على تعظيم شعائر الله عز وجل.

العيد لجيل لابد أن يكبر على "الله أكبر ولله الحمد"، وإعلاء كلمة الله ﷻ وإقامة شريعته في الأرض.

اللهم أخرج من هذه الأمة جيلا أشد حبًّا لله ورسوله، اللهم جيلا من الأقوياء والأمناء لا يركعون لغير الله تعالى.

كل عام وأبناء المسلمين بخير وصحة وسلامة، كل عام وهم رصيد الإسلام ذخرًا وإعدادًا وفتحًا.

****

قبيحٌ بالعبد أن يقول بلسانه: الله أكبر؛

وقد امتلأ قلبه بغير الله.[١]

اللهُ أكبر الله أكبر، لا إله إلَّا الله، واللهُ أكبر اللهُ أكبر، ولله الحمد

قال تعالى ﴿ **وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾.

عش هيبة التكبير .. فإنها مقام عبادة وإعلاء لكلمة الله تعالى فوق حطام الجاهليات.

---

[١] (بدائع الفوائد ٢/ ١٩٦)

****

وما العيد إلا فرحتهم،

وما العيد إلا طفولة القلب..!

****

جمع هذا الكتاب خواطر شهر رمضان لعام ١٤٤٦هـ، فاللهم بلّغنا رمضان المقبل، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك فيه، واكتبنا من المقبولين المرضيين فيه وفي كل حين.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.


لا إله إلا الله محمد رسول الله